

أنا وأنت على الطريق هل يجلب الدين السعادة؟

هل سمعت سيدتي بهذا التعبير؟ بأنّ الدين يجلب السعادة؟ هذه معلومة وردت في عنوان هذا التقرير الذي يقول: وجدت دراسة أمريكية جديدة أن عدد الأشخاص المتدينين يزداد وأنهم سعداء أكثر من الملحدّين في المجتمعات التي تواجه نزاعاً أو ضيقاً. لكن هذا الارتباط لا وجود له في المجتمعات الأكثر استقراراً أو سلاماً. ففي دراسة جديدة أجراها باحثون في جامعة إلينوي تبين أن المتدينين في المجتمعات المستقرة لا يقل عددهم فحسب، بل هم أكثر سعادة من سكان مناطق النزاعات والمعاناة. وقال الباحث المسؤول عن الدراسة إد دينر Ed Dener إن الظروف تنبئ بالمتدين. الظروف الصعبة تؤدي بشكل أقوى إلى إيجاد أناس متدينين. لكن دينر أشار أيضاً إلى أن أهالي المجتمعات غير المتدينة أو المسالمة حيث كل احتياجات الأشخاص مؤمّنة، يكونون أكثر سعادة من المتدينين. وبعد تحليل بيانات لاستطلاعات رأي عام بين عامي ٢٠٠٥ و ٢٠٠٩ في أكثر من ١٥٠ بلداً وجد الباحثون أن الدين يساعد عاطفياً الأشخاص الذين يعيشون من دون تأمين احتياجاتهم الأساسية مثل الطعام والوظائف والرعاية الصحية والأم والتعلّم. وظهر أن المتدينين الذي يعيشون في مجتمعات متديّنة تزيد لديهم أرجحية الشعور بالاحترام وبالتالي يعانون بشكل أقل من المشاعر السلبية مقارنة بغير المتدينين. إلى هنا ينتهي التقرير.

إذن لقد خلّص هذا التقرير إلى القول بأنّ الناس الفقراء أو الذين يعيشون في مجتمعات فقيرة لا تؤمّن احتياجاتهم ، يكونون أكثر اكتفاءً وتديّناً من تلك المجتمعات المتحضرة والمرفّهة التي يشعر فيها المرء بالاطمئنان. بمعنى أن الحاجة أو الظروف الصعبة تجعل الإنسان أكثر تديّناً. لكن هل حقاً يعيش المرء في العالم المتحضر الذي ينعم بالسلام والسلم، هل يعيش حقاً بسلام وطمأنينة وراحة بال؟ إنها راحة بال خارجية أي بحسب الظاهر بالطبع. لأن الإنسان الذي يتمتع بالسلام في هذا المجتمع يعيش ضغوطاً أخرى من نوع آخر وهنا لا بد أن يزرح تحت وطأة الهموم والقلق فيصاب بالمرض الجسدي وربما النفسي أيضاً.. فالسلام والطمأنينة تبقّيان نسبية مقارنة بمجتمعات أخرى..

قالت لي سيدة مرة: ربيت في مجتمع يمتاز بالسلام الظاهري. لكنني كنت أعاني من أشياء أخرى في المجتمع كالتمييز والطبقية. كانت هناك أسئلة كثيرة في داخلي تحيرني جداً ، وكنت أشعر بأن هناك فراغاً في داخلي لا تملأه الأشياء المادية المتوفرة من حولي. وكنت إذا قمت بأعمال حسنة وخيرية لا أشعر باكتفاء لأن ديانتني علّمتني بأنه على الرغم من أعماله الحسنة لن أقدر أن

أتأكد بأنني سأحظى برضى الله في الآخرة. لهذا كنت يائسة بائسة. وكنت أتساءل دائما كيف أستطيع أن أحصل على السلام في نفسي؟ كنت أرى الله المهوب والمخوف خالق الكون والعالم وكل ما فيها، طاهراً وقدساً. أما أنا فكلي أخطاء وخطايا. كنت أرى نفسي أمامه نجسة لدي كراهية وحقد ومرارة في داخلي. إذن نفهم من هذا الاختبار سيدتي، ومن اختبار الكثيرين والكثيرات من متدينين وغير متدينين بأنهم لا يزالون يبحثون فعلا عن سلام النفس والطمأنينة التي ليس لها علاقة بالخارج. أي يحتاجون إلى ما يسد فراغ نفوسهم ويروي ظمأها .

إذن كل منا يا سيدتي والإنسان بشكل عام، يشعر في داخله وبغض النظر عن الظروف التي تحيط به يشعر بأنه بحاجة إلى شركة وعلاقة مع الله الخالق الذي أوجده على هذه البسيطة. لهذا فإن الدين والتدين يبقيان في ضمن مفهوم الواجبات والوظائف التي نقوم بها في محاولة منا لإرضاء الله. لكن الله يا سيدتي ومنذ البدء لم يتكلم عن دين وتدين بل كان هناك في الجنة يتكلم إلى آدم وحواء أبويننا الأولين وكانا يسمعان صوته وفي شركة وعلاقة معه لا يشوبها شائبة. لكن وحين وقع الإنسان في الخطية انقطعت هذه العلاقة وهذه الشركة، ولهذا بقي الإنسان يعيش في جوع وعطش دائم لاسترجاع هذه العلاقة. ولقد منح الله فرصة للإنسان وأرسل إليه وعن طريق الأنبياء في القديم بأن يعيش في طاعة لشرائعه التي وهبها لعبده موسى ولوصاياه العشرة التي أعطاها للشعب في القديم.

لكن الإنسان فشل يا سيدتي في أن يطبق هذه الوصايا في حياته ومسلكه. ولهذا أرسل الله ومن فرط محبته لكي يخلص الإنسان الرب يسوع المسيح وحده الذي نزل من السماء وصار بشرا مثلنا لكن من دون خطية بهدف أن يموت عن الجنس البشري ويحرره من عقاب الخطية الذي هو الموت والانفصال عن الله. حتى كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا. ويوم ظن تلاميذ المسيح أي الحواريون بأنه مساوٍ للأنبياء السابقين موسى وإيليا ، ظهرت للحال سحابة من السماء وظللتهم جميعا وجاء صوت من السماء قائلا: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت له اسمعوا. أجل هذه هي شهادة الله عن يسوع المسيح نعم لقد أرسل الله المسيح لكي يموت عنك وعني ولكي يصلحنا مع الله الأب القديس، ويعيد الشركة المقطوعة. عندها نتبرر أمام الله ليس بأعمالنا أو بتديننا بل لأن المسيح قد أكمل عمل الفداء وقام من بين الأموات منتصرا على الموت لكي يهبنا الحياة الجديدة. إذن التدين ومهما كان وبأي دين كان لن يجدي الإنسان نفعاً. لأن الله هو إله التواصل والعلاقة والشركة مع الإنسان وليس إله أديان. فهل فكرت في هذا الموضوع مرة سيدتي؟
